بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة ام القرى

مكتبة الملك عبدالله بن عبدالعزيز الجامعية

قسم المخطوطات

بداية المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

قال ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الحمد لله الذي سمك السماء بقدرته • وجعل الارض مهادا بحكمته •
وفطر ما بينهما براهين ادلته • خالق الامور المتعاكسه • والآلات المتباينه •
والجواهر والاعراض المختلفات • والمتفقات • من نور وظلمه وذي
سكون وحركه وانس ووحشه وجفاء ورقه وضعف وقوه •
ونوم ويقظه وضحك وبكا وغضب ورضا • الذي اخفى النفوس
في الاجسام • والطفها ما ترى ثم دبرها بالحس وتشاهد وابرزها بالفطن •
ودواطها بالعلم والمعرفه واعانها بالاسماع والابصار • والذوق واللمس والشم
وابن لها الايدي • والارجل الحوامل العوامل • ومكنها من المعرفه والحجه •
وجعل ما وهب لها من ذلك حجه لها ان شكرت • وحجه عليها ان كفرت
وشاهدا لتقصيرها ان قصرت • والحمد لله الاحد الواحد الكريم
المجيد • الذي لا تشتمل عليه المشاعر • ولا تحجبه السواتر • ولا تدركه
النواظر • الاول لا الى اول ليس قبله • الآخر لا الى غايه تنفد • •
المتعالي عن مماسته • البائن عن مسافه • الظاهر لا بالاتصال الباطن
بغير حلول • الذي دل على نفسه بآيات قدرته • الموجوده في بريته
المستدل عليه بلطف صنعه • وجعل الحاجه سمه من خلقه ضعفهم
عن ادراك قوته من انه معلومه بالدلاله • وانه معلومه بين
معروفه بما وهب لهم من بصره هدايته ليس سواه اله ولا
رب معبود • الذي حجب الابصار عن رؤيته • وستر للعقول
عن رفعه • واحسر الالسن عن تحديد كنه صفته • والحيره •

الموقنين من رحمته • ولا انفس الكافرين من حجته • ونشكره والحمد لله
الذي خلق فاحسن الخلقه • وفطر فاتقن الفطره • وهدى الى طريق
النجاه والسلامه • وزجر عن سبيل الضلاله والجهاله • ثم بعد الخلقه جعل
الامهال • وبسط امد النظره • ووعد بعد المغفره والاقاله لمن
ارعوى من غيه • واهتدى من بعد • بعد التحير والتهور • تتميما للنعمه
وزياده في الاعذار لئلا يكون للناس على الله حجه بعد الرسل • وكان الله
عزيزا حكيما • نعوذ بالله الكريم من غلبه الشقوه ونسأل الله
العظيم الزياده من البصيره • والمنفعه بالعلم • وان لا يجعل شيئا منه
وبالا في الآخره • انه على كل شيء قدير • اما بعد فانه
ليس باهل البر والتقوى • ولا بذوي الغباوه والردى • غنى عن المواعظ
والدلاله على امكنه الخير • والنواهي والناهي عن الشر واهله • لما لك
من التذكره والتبصره والتأديب • والتهذيب والتزكيه • والتقويه •
ولو كان بين عدو الله ابليس • الضامن احتناك الذريه الضعيفه
الا قليلا • وبين قلوب العباد • اغلاق سوى الذكر لله لوجب
طلب مفاتحها • عليها تحمل المشاق • وركوب الاخطار والتغلغل
الى خفي اماكنها للتأمن كيد عدونا الذي يجري مجاري الدم •
منا ويرانا من حيث لا نراه • وله تسلط على سويداء القلوب • ثم من
اشتر لا لنا البعطف • فاوجب ذا اعتزا عباد الله بان يحذروا من اسر
خرس من كيده • حارس سوى التعوذ بذي الجلال والاكرام •
والفزع الى بلائه وكلمته • وترديد اسمائه الحسنى والعلو بذكره •
واللهج والغرام • الا ايجاد الله لطيكن بالك اليها الانسان الملهوف •
من ضعف وطين وماء مهين • مغشيا بذكر الله • مسوطا بالفزع اليه

ومسئلة النجاة من كيد عدوك وعداوه والسلامة من حيله وزجله
ومكر جنوده فإن لهم أهواء وأهواء السنة تلقى القلوب والانشراح وتجوز
محلقة الفعل لأثر الانتصاف ومداخل لطيفة تصل إلى النفوس بمزاده
من الإضلال والاستزلال واعتصم بالله الانشراح من جملة معرفة
الواحد الخالق الرحيم الرحمن وقدراته الآيات والبينات في الآفاق
وفي نفسه والنماء والنقص وأحوال الدنيا وأهله وختمه وأوجه الأمور
التي هي منافعه والمآرب التي لها شاهي مصالحه وكيف تهيأ له قبل
خلقه مفزعا منها قبل خروجه إلى الدنيا متممة مكملة وهي في ظلمة
الرحم مصنوعة منظومة عالمة وصفه قبل كونه وأنه لم يهدها النفسه
ولا أذعى أنه مهدها ولا لأنه ولا لأحد من أبنائه جنته بل لمن منها على أن ربها
شيء الأوهو مركب تركيبا لم يكن المصلحة تنتهي إلى ما وقوفه ولا يتجاوز
ما وقوفه ولا يرغب عن شيء منه دون الطبائع جمعا لشهادة الكل بصنع ذلك
ويعرفه العرفه ولوادعت خلاف ذلك لانقطعت أسباب
الحجة عن دعواها وشهد بالمحال عليها عقولها وأثر الضرورة المحيط
بها قال أبو عثمان وحين ذاكرون أشياء من شواهد آثار الصانع
في صنعته ومتهافتون على استزلاله وادعاء ما نشاهدها من فطرته تضطر
إلى معرفته وتشهد بوحدانيته وخبر عن جلال عظمته وكمال قدرته
وواصفون أعلاما وآيات وبراهين واضحة تشهد بالتمايز وتهتف
بذكرها الغرائز وتعرفها الطبائع ولا يتكر له التركيب ولا يدفعها
العقول بمقدار وسع الطاقة وبلغ الجهد وما وهب الله للناس
العلم وما وفقهم الله عليه لو كلفوا وهو الواحد العظيم ليزول الشكوك
عن قلوب المرتابين ويتجدد نور اليقين في صدور المؤمنين وحسبنا الله

ونعم الوكيل وقد ألف مثل كتابنا هذا جماعة من الحكماء المتقدمين فما
أوضحوا معانيه ولا بينوا المشكل فيه فمنهم جرمانيس النجاري لأنه
ضمن كتابه بغير خطبة ولا مقدمة ورتبه بترتيب لفلاسفة وسطره
بكلام متغلق وخطه نطاعة منسوق فكان كالمربوط وقفله الغني
معناه بوذرتوس أسقف طرسوس كتابا وضعه في زمان بليانوس عظيم
الروم الذي كان ينتسب إلى القول بالدهر والعضيه لدين الكفر وكان
هذا الملك من أهل التليس والتدليس وسمى بوذرتوس كتابه كتاب المدبر
ونقله من أخذه عنه من السريانية إلى العربية فلم يقع فساد النقل حتى يتفاوت
بقع من الإيضاح والشرح وافساده بتأول اللسنة وسوء العبارة ومنها كتاب
نظمه ثاوريطوس أسقف قورس كتبه باليونانية ونقل بعده إلى السريانية
ثم إلى العربية فجاء مجزى الأول المقصود بتداول النقل والعبارات ومنها
كتاب ألف أيام بخامنيه نظمه نسطوغنجت مطران فارس وكتبه بالفارسية
فاكتسبه استغلافا وقد جمعت في كتابنا هذا لخاصة ما وجدنا في هذه الكتب ودنا
بمقدار الطاقة والتوفيق من الله جل ذكره وشرحنا ما نقلنا عن عربنا وبينا
القول فيما زدنا وزينا بما ترتبا ونور السمع ونسر القلب ويبسط السامع
ويوجب الحجة على المخالف وما توفيقنا إلا بالله قال أبو عثمان الجاحظ
أرباب المذاهب والأشياء التي في الصنعة مدل على الصانع سبحانه والأشياء
والمعاني التي في الخلقة وقصر واعن تأمل الحكمة لاشتغالهم بالذات تقوم
وشهواتهم وما أثروا من الدنيا خوضا إلى الجحود والإنكار والبهت والتكذيب
فأنكروا خلق الأشياء وزعموا أنها لم تزل هكذا بعجوزة وأنها على الأبد
على العضد والعمد والدهر والدهرية وكانوا مما شاهدوا من الأدلة
يرون من العالم بمنزلة من دخل دارا وهو واعي ليس معه فليس يرى

ويضف له حيث قرنها وانعان سائها وما دار اعد فيها من الماكل والمشارب
والملابس والمنافع والمصالح فاقل سعي وجاه وسعي على وجهه فعثر بشيء
في طريقه فاوشك فان ما فطن ان ذلك الشيء الذي عثر به ما وضع في عثرته
وهو جاهل بالوجه الذي وضع ذلك الشيء له فقد مر وضجر وذم الدار وصاحبها
بانيها وانكر حكمته وتسخط فعله فهذه حال من انكر الصانع عز وجل
فانهم لما غبت ازهانهم عن معرفة الاسباب والعلل التي في الاشياء
ضاروا وجلون في علم هذا العالم كالبهائم الجهال لا يفهمون ما هو عليه
في اتقان خلقته وصواب هيئته وترتيبه وقف الواقف منهم على الشيء فجهل
سببه ولا يعرف الغرض فيه فسرع الى ذمه وعيبه ونقصه ما اخطأ والجاهل
كالذي قادت عليه البهيمة الكمرة وامثالهم من البهائم فسطاه الضلال
محق على من العلم الله عليه بمعرفته ووفقه لتامل قدرته وابداع صنعته
بالوقوف على ما فيها من الايات والبينات والادلة والبراهين الشاهدة
على توحيد الله ومعرفته ان يحمد الله عاما وهب له وان يشيعه في الناس
ويدلهم عليه ويحثهم على علومه الكثيرة وتسهيلها بالجمع والشرح والتاليف
وتزهيده عما يشاغل ويشكه في الادهان لتهوي به قلوب المومنين
وتحبه وتبطل اقوال الشياطين وان لم يكن محتسبا للثواب باجتهاده
في تيسير العباد فاول الغرض بهيئة هذا العالم وتاليف اجزائه
ينظمها على ما هي عليه فانك اذا تاملت العالم وجدته كالبيت المبني للعبد
فيه جميع عناده فالسماء مزوعة كالسقف والارض ممدودة كالبساط
والنجوم منضودة معلقة كالقناديل والجواهر مخزونة في معادنها
التي جعلت لها كالخزائن وهي منضودة في مكامنها كالدخائر كل
منها مع لسانه وما يراد له والانسان كالملك المخول لجميع ما في

البيت من ضروب النبات والحيوانات وهي مهياة كلها مسخرة له
في مصالحه معدة لمنافعه ففي هذا دلالة على ان العالم مخلوق بترتيب
ونظام وان الخالق له واحد وانه هو الذي الفه ونظم بعضه الى بعض وذلك
ما قد قاله الاولون فاحسنوا القول ولا كتنا نتعزى الى وراء من ذاق
الحقيقة فنبين ما ذكرناه من صواب الحكمة واتساق النظم والتلاميه
البينة في ذلك كوضع لسن نوعا الاهاب ولمريد ان يصلح ضرب لا الهاب الا
باني صواب والمصاك لا بد معه نظام

فكر في نور السما وما فيه من ضوء الشمس

فان هذا اللون اشد الالوان موافقة
للبصر واعون على يبوسته الترى ان من صفات الاطباء ان اضافه افه اضرت
بصره اربد من الاطلاي والياقوت والحجر وجعلوا يلقاعيته احاله حضرا فهما
فانظر كيف جعل هذا المدبر اعين الشاهد اللون الى الاخضر الذي يضرب
الى سواد ليمسك للبصر المتلاعبة الماء من علوه وسفله طامكا فيه نطول مباشرة
الاعين له فضار هذا الذي دركه الباصر بعد الفكر والتعاريف يوجد مدبره عامدا له

فكر في طلوع الشمس

والنهار فلولا طلوعها لبطل الغرض العالم كله فكيف كان الناس يشعرون
بمعاشهم ويصرفون في امورهم والابنية طامة عليهم فكيف كانوا
يهتدون الى حيوه مع فقدهم النور الذي هو روحه والادب في طلوعه ظاهر
يستغني بظهوره عن الاطناب فيه ولكن نامل المنفعة في عروبها فانه لولا عروبها
لم يكن للناس هدو ولا قرار ولا زاجه مع عظم حاجتهم الى ذلك الراحة
ابدانهم وجموم جوارحهم وانبعاث القوة الهاضمة للطعام وبعيد الغرض الى
الاعضاء كالذي وصفت كتب الطب من ذلك فترك الحرص سعي الناس
من اهل الحرص على مداومة العمل وما بعده اكثر منافعهم واكسابهم

عقله من سلطان ولا فترة من حاسته ولا تترك كيف حمل في اللسان من النعمة
حتى ما حمل في الحفظ وهما ضدان مختلفان هذا عجب ذلك عز اهله وما اوتوا
نعمة وفضلا من مائدة حكيم عظيم وما عسى ان تقول الانس فتنسوا الاشياء
ضائعين متضادين وهذه الاشياء المتضادة وهي ترك النفع والضر تجتمع والواحد
منها فكر وهذا الحلو الذي خص به الانسان دون جميع الحيوان اعني
الحياء اعظم قدره واجل جوهره فاولا الحياء لم تر ضيف ولم ير وعهد
ولا اجزوعد ولم يقض حاجة ولا لحق بسفاعة ولا اخرى جمل ولا احسن شيء
حتى ان كثيرا من الاشياء المتروضة انما اعملت حياء فان من الناس من يطيع والده
حياء وبره افاته انفا ومنهم من حمله الحياء على اداء الامانة ورعاية الحقوق
والبعد عن المواحش فلا تترك كيف في الانسان جميع الخلال التي ذكرها
صلاحه ونجاموده فكر فيما انعم الله به على الانسان
من هذا المنطق الذي به يعبر عما في نفسه ولولا ذلك كان بمنزلة البهيمة
التي لا تعبر عن نفسها ولا تفهم عن مخبر شيء وكذلك الكتاب الذي به تقييد العلم
وبه حفظ ما تحكم في الارض به النقل والتاريخ وبه حمار العلم والقضايا وثبت
الحقوق في الديون والبيع والشرى وحفظ الشهادات ولولا الكتاب لاسقطت
الاخبار ودرست السنن وبطل التاريخ وضاع الادب وعظم الخلل وبطلت
منافع كثيرة وتعذرت المعاملة فاحتاج نظام العالم ولعلك تقول
ان الكتاب ما حفظ الله الناس بل افطنه والحياء فليس الامر كذلك
مما اعطيه الانسان في اصل الخلقة والطباع وذلك الكلام انما هو شيء
يصطلح عليه الناس فجرى بينهم على ما اتفقوا ولهذا ما صار اختلاف
الامم في الخط والكلام فلسان هذا ولا يعرف لسان هذا ولا كتاب هذا ولا يعرف
كتاب هذا والامور الطبيعية اشترك الناس فيها فلا اختلاف فيها تقول ان

ذلك الكلام وان كان للناس في نعم الله التي انعم بها عليه من الامرين جميعا فضيلة
فان الله الذي بلغه ذلك النعم والحيلة عطيته وهبها الله وبلطف
نعمه وزيادة اعطاه في خلقه وانه لو لم يركب له لسان مهيا للكلام وركب
بهيئة يه اولى الامور ولم يركب كما ترى ولو لم يركب ليد تصلح مهيأة
للكتابة لم يكن يكتب ابدا واعتبر ذلك من المباشر الذي لا كلام له ولا
كتاب عنده ها فكر فيما اعطى الانسان علمه وما منع فانه اعطى
جميع ما فيه صلاح دينه ودنياه من ذلك الاسباب التي تؤديه الى معرفة ما
بالادلة التي هو مودعه في الخلق واعطى معرفة الواجبات من
العبادة الاحسان كالانصاف ومواساة اهل الحاجة واساءة ذلك كما
يوجد معرفته والاقرار به

فكر فيما انعم الله به على الانسان من هذا المنطق الذي به يعبر عما في نفسه

اطويل هو ام قصير انا يبر هو ام ينقضان اسمر هو ام ابيض وانما يلزم مهم الانسان
بطاعته والنصيحة في امر ملكه والاسها الى الميزه وبزل الجهود في مودته الا
ترى ان رجلا اتى باب الملك فقال اعرض على نفسك حتى ازاك والا لم اسمح لك
ولم اطمع كان مستحقا للادب منه هكذا في الغاية لا اقر بالخالق حتى اعلم
ما هو وكيف هو قال الكسنم تصفونه فيقولون عفو رحيم جواد كريم
قدير عليه وحدوا لك فلنا هذه صفات اقرار واعتراف وتلبيت والحاد ولست
صفات احاطه وادراك فقد دللنا على كونها على كنهها كما انا نعلم ان
الشمس اذا غابت ليلا عنا انها حتى في موضع اخر ولا يدرى ما صفة ذلك الموضع
وعنه قالوا له ما الدليل احنفوا فيه مع وضوح الادله مزعم عذر عليه قلنا
لعفو زال العقول عن الاحاطه به وبعدي الهوس مفاكرتها بالشمول الى
معرفة ذاته ولانها تروم الادراك له وهي تعجز عادونه فمن ذلك هذه
الشمس في الصنعة التي ترونها تطلع على العالم كل يوم وهم لا يقرون بحقيقه
امرها وذكر اكثر المتقدمين من الحكماء الاختلاف فيها فقال الكسندروس
في فاكاجوس مملوناتا وقال الكسنوفانيس في احزاناته مجموعه

يرفعها البخار الرطب وقال الكسنيفانيس في بعض ما نسبه ملتهبة وقال فلاغورس
خسف رجاجي ناري يرتسم شعاعه علينا وقال ارسطاطاليس في جوهر خامس
غير الطبايع الاربع وقال الاسطوانيقون في جوهر لطيف ضاف يصعد في
من العنصر وقال الفلاطن في احد اكبره مجتمعه من النار ثم اختلفوا في شكلها
فقال قوم انها مختلفه قال الكسنيفانيس في بعض ما نسبه الصفحه العريضه وقال الاسطو
هي كالكره المدحرجه وساعده على ذلك ارسطاطاليس وافلاطن وطلميوس
وكثير من الحكماء واختلفوا في مقدارها فقال الكسنيفانيس في افلاس الارض
وقال الكسندروس في مثل الارض سبعا وقال اركساغورس في كل جزء
الكبيره وقال الذي فلطوفس في مقدار قدم الانسان وقال اصحاب الهند منه هي
اضعاف الارض مايه وكذلك وستين مره في بعاوت هذا الاختلاف في الشمس
دليل على انهم لم يقفوا على حقيقه امرها الا الاداني والزاي الخطي ونصيب
فكيف به اذا تعدى ذلك الى صنع الاشيا كلها سبحانه وذكر ذلك اختلفوا في
العنصر والكواكب والحوادث الشاهيه والارزاق وشكلها وقدرها في
الجبال وحجرونها في البحار وكثير من العالم والشاهد فقالوا فيه باذا عبر فتفقه
واذا كان الامر في احكام الزاي بما يحكم فيه القيايس على هذا التفاوت فما لنا
ولاحد اولى بان لا يعرف منه الا وجوده وجلاله وقدرته وحكمته فما
مما الاداله وصول اليه من نعته لانه مستتر عن الابصار ومحجب منيع عن احاطة
الاوهام قال وليس الشمس والحال محتاجون الى معرفته وعبادته فترجعون
لهم مع استتاره شبيلا الى ماهم اليه من ذلك محتاجون فقطع العذر واوجب
الحجه وحول الاطهر لا ابصار تكون فادرا مقدورا عليه محيطا محاطا به
قال ويقولون انه مستتر محجب وانه موجود طاهر مبين فكيف هذا قلنا هو
طاهر بظهور ادلته وبراهينه وايايه وموجود بوجود اثاره ودرته في خلقه

ومع ذلك لا ترى ذاته ولا تكيف صفاته ﷺ قال فكيف استنارته قلنا
لبس كاستنارة الحاوين بالحجب والاثواب والانبيه والاخبيه وانما معنى
قولنا استنار واحتجب انه لطف عن بلاغة الافهام وتراه الابصار كالطف
المعنى عن ادراك الحس وليته الجل الاعلام قال فكيف لطف فقلنا هو خارجا
من اشباه الذات الكيف واقع الاكوان المحدثه فاما القديم سبحانه فلا
يعال له كيف كما لا يقال له لم ولا ما ولا اين هذه اسماء السؤال عنها محال في البارئ
عز وجل لكونه اماما من صفات المحدث فلم يسع عليه وكيف موجب حروف كيف
وما هو اذا دخلت تحت الاشياء المخلوقه المحدوده وان الحاب لحاجته
الى المكان وكل هذا الله عن عنه متعال فوقه ﷺ واما قولك لماذا
هو وساقط لانه سبحانه علة العلل وليس له علة وليس لحكم الانسان
ان يلزم البارئ سبحانه بوجود يوجب له ان يعلم كيف هو ولا ما هو ولا اين هو
لانه تعالى ذكره غيب بديع منيع رفيع لطيف عظيم موجود من جهة مفقود
من اخرى قريب بعيد داني ظاهر باطن وقد قال اوسطا طاليس في
الخالق جل وعز قريبا مما قلنا فلذكر في كتابه الذي هو كتاب ما بعد
الطبيعة هو من جهة كالواضح لا يخفى على احد ومن جهة كالغامض لا
يدركه احد واذا كان العقل طاهرا نسبها كنه وادلته حيا في كينونته
وما بينه فلا نكذب ان يعال له في بارئه وصانعه سمو ما قيل فيه فهذا اسهل
ما جمع في هذا الكتاب من الادله على الصانع سبحانه والاعتبار
بما وجد من الايات والبراهين على القصد والعمد وان الخلق بعز اتهام
وبعز اتقان هو قليل من كثير وحر من كل فاما العلم الكلي
والكامل عند الكالو جل وعز له الشكر واجمد دائما كما يستحق
وهو حسبنا ونعم الوكيل

تم كتاب العبر والاعتبار بحمد الله تعالى ومنه وصلواته على محمد سيد
والدوسلامه

وبلغ على اصله نصحا حسب الطاقه
وما بلغه الجهد والجهد من العالمين

جمعه الشيخ الاجل ابو محمد عبد الله بن محمد
بن السيد البطليوسي رحمه الله

نهاية المخطوطة